أميركا وعلماء العرب

كانت أميركا مجهولة عند ابنآء القرن الخامس عشر بدليل ان المؤرخين في ذلك العهد لم يذكروا عنها سوى اخبار اكتشافها في أواخر ذلك القرن غير ان كلام ابراتوستينيس واسترابون اليونانيين اللذين عُنيا بفن الجغرافيا بنحو ٢٠٠ سنة ق . م يستدل منه على ان القدمآء كانوا يتحدثون بوجود قارة مجهولة في أيامهم

ولقد اهتم الخليفة المأمون بن هرون الرشيد السابع من خلفآء بني العباس عام ٨٣٣ للميلاد بعلم الجغرافيا في جملة ما اهتم به من اصناف العلوم فكان من ذلك انه اشتغل في هذا الفن عدد من علية علمآء العرب في دار الخلافة وانتشرت معرفته من تلك المدينة الى معظم البلدان بعد ان درست آثاره وطمست اخباره في القرون المتوسطة في أوربا

ولم يقتصر علمآء العرب اذ ذاك على جمع ما بقي من أقوال علمآء اليونان والرومان في هذا الفن بل جدوا في اكتشاف بلاد مجهولة في أيامهم وتخطيطها فذهب فريق منهم سنة ٩٠٠ للمسيح الى الشرق الاقصى من القارة الآسياوية ومضى فريق آخر الى القارة الغربية . ولو لم يثبط عزائمهم أمير الجزيرة التي بلغوها بعد ٢٤ يوماً من سفرهم من لشبونة من بلاد البرتوغال الى الغرب لكانوا أول من اكتشفوا أميركا

وبعد فقد ظل هذا الفن مجهولاً في أوربا حتى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد ولذا بقيت القارة الاميركية واوستراليا والجهات الشمالية من أوربا والجهات الشرقية من آسيا مجهولة في تلك البرهة الطويلة . ومن الحروب والفتوحات ما يبعث على يقظة العباد والبلاد وهبوبها من رقاد الانحطاط فقد حدث ان طرد السلطان صلاح الدين الايوبي عام ١١٨٧م الصليبيين من سورية فعاد هؤلاء الى المغرب بعد سبع حملات حملوها على المشرق حاملين معهم ما اكتسبوه من علوم العرب وكتبهم واخذوا

يبثون تلك العلوم في البلاد الاوربية . ومن جملتها علم الجغرافيا فشرع الاوربيون في تهذيبه وهاموا بطلب اكتشاف الديار المجهولة . ثم حدث الحمة خريستوفورس كولمبس [١] فذهب في الثاني من شهر آب (أغسطس) ١٤٩٢ من مدينة بالوس بمساعدة ازيبا ملكة اسبانيا في ذلك العهد في تسعين رجلاً وثلاث سفائن . وبعد صعوبات جمة لاقاها في طريقه من أهوال البحر ولا سيما متاعب صادفها من رجاله اكتشف أميركا بعد مضي ٦٩ يوماً من سفره

فلاعجب اذا قلت ان العرب كانوا هم الداعين الى النهضة الاوربية والى اكتشاف أميركا . فلولا اهتمام العرب بفن الجغرافيا بهمة الخليفة المأمون لكان من المحتمل ان تظل أميركا مجهولة ولولا عنايتهم بتوسيع نطاق المعارف وترقية العلوم في أيامهم لكان من الممكن ايضاً ان تظل أوربا رازحة تحت أعباء الجهل كما كانت في القرون المتوسطة . ولا يزال علماء الجغرافيا في هذا العصر معوّلين على جغرافية افريقية وبلاد التتر وقسم كبير من الشرق على علماء الجغرافيا من العرب الذين نبغوا في القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر. ومن جغرافيي العرب الذين ما برحوا موضوع اعتبار علماء الجغرافيا في هذا العصر من المغاربة الزمخشري [٢] والادريسي [٣] وابن بطوطة [٤] وابو الفدا [٥]

---

(١) ولد عام ١٤٤١ في جنوا من ايطاليا وتوفي عام ١٥٠٦ (٢) ولد الزمخشري سنة ١٠٧٥ م وتوفي سنة ١١٤٤ م . وهو صاحب التآليف اللغوية والنحوية المشهورة وصاحب كتاب الجبال والامكنة والمياه في الجغرافيا (٣) ولد محمد الشريف الادريسي سنة ١١٠٠ وهو من ولد ادريس من العلويين ملوك مراكش من سنة ٧٩١ الى سنة ٩٢٦ للميلاد . ومن تآليفه مقالته الجغرافية، وهي تقسم الى سبعة أقاليم وسبعين بلداً وقد ترجم موجزها الى اللغة اللاتينية سنة ١٥٩٢ في رومية وطبعت في باريس سنة ١٨٣٧ وترجمت الى الفرنسية (٤) ولد ابن بطوطة في طنجة من بلاد مراكش سنة ١٣٠٣ وتوفي سنة ١٣٧٧م . وقد طاف في أيامه العراق العربي وجزءاً كبيراً من قارة افريقية وسورية وبلاد العرب والهند والصين وبلاد التتر والاندلس وكتبت رحلته المشهورة وسميت « تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار » وطبعت في باريس وترجمت الى الفرنسية في أربع مجلدات (٥) ولد أبو الفدا في أواخر القرن الثالث عشر وتوفي في أواسط

وياقوت الحموي[1]

سميت قارة أميركا المكتشفة العالم الجديد لانها كانت مجهولة قروناً عديدة. وسميت اميركا لان أميركوس جاء هابعد ان اكتشفها كولمبس فنسبت اليه أوسميت باسمه . وكان من العدل ان تسمى هذه البلاد كولمبيا تخليداً لاسم مكتشفها الاصلي كولمبس ومكافأة لخدمته للعلم التي لا يساويها ثمن . وهذا الاجحاف بالانصاف يدل دلالة صريحة على ان بعض فضلاء الاوربيين القدماء وعلمائهم كان معاصروهم يهتضمون حقوقهم ويجردونهم من فضلهم وان شئت فقل يحقرونهم كما احتقر ذلك المكتشف العظيم . ويسوئني وايم الحق ان أصرح بأن هذه العادة متأصلة في الشرق وانها تدلّ على كساد بضاعة العلم وعدم تقدير رجال الادب والوطن حق قدرهم . وهؤلاء أصل كل تمدّن وتقدّم في كل قطر ومصر . وياحبذا لو يقتدي من يهمهم خير البلاد والعباد بالخليفة المأمون و بأبي الفدا الملك والمؤرخ فيخلدون ذكراً مجيداً على مرّ الايام فالبلاد لا تسعد بدون انتشار العلم . والعلم لا تقوم له قائمة بدون مساعدة رجاله ومناصرة طلاّبه

الولايات المتحدة . اوماها . نبراسكا . . يوسف جرجس زخم

القرن الرابع عشر للميلاد. وهو الملك المؤيد اسماعيل أبو الفدا صاحب حماة ويعتبره العلماء ثاني الخليفة المأمون من حيث محبته للعلم ورجاله . ومن تآليفه في فن الجغرافيا كتاب تقويم البلدان طبع في باريس وفي درسدن

(١) ولد ياقوت الحموي سنة ١١٧٩ في بلاد الروم وتوفي سنة ١٢٢٩ في حلب . ومن تآليفه المفيدة في فن الجغرافيا معجم البلدان وكتاب المشترك وضعاً . وقد طبع هذين الكتابين العالم وستنفلد الالماني الأول في ليبسك في سنة مجلدات سنة ١٨٦٦ والثاني في مدينة غوتنغن سنة ١٨٤٦